المحاضرة التاسعة

العهد المكي

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة

مازلنا في العهد المكي [الهجرة إلى الحبشة ، مراحل الدعوة ، الهجرة الى المدينة] كلها تعتبر في العهد المكي ، طبعاً العهد النبوي كله ينقسم إلى عهدين : العهد المكي ، العهد المدني .

العهد المدني ينتهي من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة المنورة .

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة

في الواقع ان هذه الكلمة هجرة النبي من مكة إلى المدينة عنوان كبير للغاية ويحمل وراءه معانٍ جليلة على مستوى العقيدة وعلى المستوى السياسي والإجتماعي والإقتصادي وعلى كل المستويات .

لأن هذه الهجرة تعتبر تغيير لوجه التاريخ ، تغيير للعالم وللسياسة والدولة ولكثير من قضايا المجتمع والإقتصاد وكل شيء .. لذلك لا نعتقد بأن هذه الهجرة جاءت ببساطة ، هذه الهجرة أتت نتيجة لعمل دؤوب ليل نهار قام به النبي طيلة ثلاثة عشر عاماً في مكة المكرمة .

كلنا نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في مكة المكرمة وكانت الدعوة سرية وفي ذلك ما فيه من الجهد الكبير ، واستقطاب من يراهم النبي صلى الله عليه وسلم أهلاً للقبول ثم بعد ذلك بدء الدعوة واعلان الدعوة .

نحن نعلم ان النبي حينما أعلن الدعوة قاومته قريش ، والنبي بذل جهوداً كبيرة من أجل اقناع قريش بهذا الدين الجديد ، لكن قريش بقيت على صلفها وعلى عنادها ولم يسلم إلا العدد القليل من المسلمين في مكة المكرمة .

النبي بقي يدعو لـ خمس سنين في مكة المكرمة والمقاومة تشتد والأذية تشتد ، النبي جاء ليبلغ الناس ما أرسل به ، جاء ليبلغهم هذا الدين والقرآن الكريم ، هذه مهمة النبي عليه الصلاة والسلام ،، مهمته الأساسية التبليغ ولكن من مقتضيات الاسلام ومن مقتضيات الدين الجديد هذا أن يكون له دولة ، لابد من وجود دولة تنفذ أحكام هذا الدين ، لأن هذا الدين جاء بأحكام وجاء بأخلاق وجاء بشرائع لا يتصور تنفيذها أبداً بغياب الدولة ولذلك لابد من وجود دولة .

فالنبي يسعى ومن ضمن ما يسعى إليه إلى تأسيس هذه الدولة التي تقوم بتنفيذ شرائع الإسلام وعلى تنفيذ أحكام الإسلام وعلى تنفيذ حدود الإسلام ، فالنبي بدون هذه الدولة لا يستطيع تنفيذ شرائع وأحكام الإسلام .

لذلك لم تكن تنزل على النبي في المدينة المنورة حدود لأنه لا يستطيع أن ينفذ هذه الحدود في غياب الدولة الإسلامية ولهذا كنا نرى ان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة يسعى أيضا لتأسيس الدولة الإسلامية كي تكون وعاء للدولة الإسلامية وتنفيذ الدعوة الإسلامية .

لتأسيس الدولة لابد من وجود ثلاث أركان رئيسية :

- لابد من وجود وطن تقام فيه الدولة
- لابد من وجود مجتمع تقام فيهم الدولة
- لابد من وجود سلطة

فإذا بحثنا عن هذه الأركان الثلاثة وأخذنا الركن الأول وهو الوطن : لا يوجد وطن للنبي عليه الصلاة والسلام ، مكة صحيح هي وطنه ولد فيه ونشأ فيه وترعرع فيه ، لكن أما وقد رفضت ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ؟! لا تعتبر مكة وطناً سياسياً له ، لذلك النبي أخذ يسعى ويبحث عن إيجاد وطن بديل عن مكة المكرمة ممكن أن تقام فيه الدولة .

لابد من وجود مجتمع : المجتمع الموجود في مكة المكرمة المجتمع المسلم طبعاً محدود ، أقلية مندرجة تحت أكثرية ، والمجتمع المسلم في مكة المكرمة لا يعتبر مجتمعاً سياسيا أو تنطبق عليه شروط المجتمع السياسي فلا يمكن أن تقام فيهم دولة والحالة كهذه ..

فالنبي بدأ يبحث عن مكان تقام فيه الدولة وقبل ذلك عن مجتمع مسلم ممكن أن تقام فيه الدولة وبدأ بخطوات عملية وأولها : أن بعث النبي بؤلئك النفر من المسلمين إلى الحبشة لأسباب كثيرة ذكرناها ولعل من ضمن هذه الأسباب أن ينتشر الإسلام في الحبشة وأن يقوم الإسلام فيها وأن يقام وطن في الحبشة ، كان ذلك من ضمن الأسباب التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم أومن ضمن الخطوات التي قام بها لإيجاد وطن ومجتمع .

ننبه لشيء مهم للغاية : انه عندما نقول ان النبي كان يسعى لإقامة دولة كان ذلك بتكليف من الله سبحانه وتعالى وليس بشهوة في الحكم أو سيادة أو رياسة أو طمع في سلطة !

لا النبي فوق هذا كله فوق الرئيس وفوق الملك ، هو نبي يوحى إليه ولذلك هو لا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ..

لكن وجود الدولة من مقتضيات الإسلام ولا يمكن أن يقام الإسلام بدون الدولة ، ولهذا بدأ النبي بالسعي بخطوات معينة لإيجاد الدولة الداعمة للإسلام والمنفذة لأحكام الإسلام .

خطوة أخرى فعلها النبي عليه الصلاة والسلام وهي أن ذهب بنفسه للطائف بعد أن مل من أهل مكة ومن تصرفاتهم .

ذهب بنفسه الشريفة إلى الطائف وعرض عليهم الإسلام ولم يكن في الواقع أهل الطائف أقل وطئة على النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ، فقد آذوه وحذفوه ورموه بالحجارة وتفلوا عليه واحتقروه ولم يجد صدا في الطائف لنشر الإسلام .

النبي عليه الصلاة والسلام كان يطمع في أهل الطائف أن يسلموا وبالتالي أن تقوم قائمة الإسلام وتقوم الدولة في الطائف لكن لم يكن ذلك حاصلاً لحكمة يعلمها الحق سبحانه وتعالى .

أسباب الهجرة :

- التوطئة والتقديم والتهيئة للهجرة .
- إحساس قريش بهجرة النبي .
- تدابير قريش لمنع النبي من الهجرة .
- احكام الخطة من قبل النبي .
- آلية الخطة للهجرة .
- دور الشباب في تنفيذ آلية الخطة .
- ما تقتضيه السياسة الشرعية من سرية الهجرة .
- أحداث صاحبت الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة .
- ماذا تعني الهجرة دينياً وسياسياً ؟!

شرح الدكتور :

عندما نتحدث عن الهجرة لابد أن نعمل توطئة ومقدمة تظهر لنا أهمية الهجرة وتظهر لنا الجهود الكبيرة التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل الدعوة وفي سبيل إقامة الدولة .

فالخطوة الأولى هي الهجرة الى الحبشة والخطوة الثانية ذهابه صلى الله عليه وسلم بذاته الشريفة إلى الطائف والعرض على أهل الطائف .

النبي عاد الى الطائف مكسور الخاطر لم يتحقق هدفه في اسلام أهل الطائف ولكن تحققت مهمته ألا وهي التبليغ ، فالنبي صلى الله عليه وسلم أدى الأمانة أما الإستجابة لم تتحقق للنبي عليه أفضل الصلاة والسلام .

عاد الى مكة مكسور الخاطر ودعى وناجى ربه وتخيير الملك له بأن يطبق الأخشبين على اهل الطائف ، والأخشبان هو جبلان كبيران في مكة ، فالنبي لم يختار ذلك العذاب لأهل الطائف .

عاد إلى مكة ومعه سيدنا زيد بن حارثة ، حينما قرب من مكة المكرمة قال له زيد أتدخل مكة وقد أخرجتك ؟

خطر وقريش لن تسكت .

ولذلك أرسل النبي لبعض زعماء قريش يطلب منهم الإجارة ، لم يستجب له الا المطعم بن عدي ، المطعم أعلن في قريش بأن محمداً تحت إجارته ودخل صلى الله عليه وسلم الى مكة مرة أخرى ويستمر في دعوته وفي ملاقاة الناس والحجاج الذين يأتون إلى مكة والى الزوار وإلى التجار يقابلهم ويعرض عليهم الإسلام .

من ضمن من لاقى النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الخطوة الثالثة لإيجاد أركان الدولة .

الخطوة الثالثة :

هي ان النبي اجتمع بنفر من الأوس والخزرج اجتمع فيهم بالحج عند جمرة العقبة في منى ، ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب .

سيدنا العباس لم يسلم بعد ولكنه ذهب مع النبي حمية وليس ديانة ، ذهب معه واجتمع النبي بهؤلاء في منى عند جمرة العقبة اجتمع بهم سراً وهم عدد قليل لا يتجاوز ثلاثة عشر رجلاً وعرض عليهم الإسلام ، هؤلاء من الأوس قبلوا الإسلام وأسلموا وبايعوه بيعة العقبة الأولى .. علام بايعوه ؟!

على الإسلام وعلى الإيمان ، يسلموا ويؤمنوا ، النبي لم يطلب منهم شيئاً أكثر من ذلك .

وعاد هؤلاء إلى المدينة المنورة وبعث معهم مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ، عاد هؤلاء إلى المدينة وبدءوا ينشرون الإسلام ويخبرون أهل المدينة عن هذا النبي والنبأ العظيم الذي ظهر ، وأن هذا النبي وصفه كذا ووصفه كذا ....

بدأ الإسلام ينتشر في المدينة وبدأ القرآن يقرأ فيها .

نحن نعلم ان المدينة في ذلك الوقت ثلث سكانها يهود وكان هؤلاء اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج وكان بينهم وبين الأوس والخزرج عداوات ويقولون :" إن نبياً أطل زمانه فإذا ظهر اتبعناه ثم قتلناه وقتلناكم معه "

أنظر إلى هؤلاء اليهود يهددون بقتل النبي قبل أن يروه وقبل أن يجتمعوا به ويعلموا ماجاء به .. لماذا ؟!

لأنهم أعداء الرسالات وأعداء الوحي والأخلاق والنبوات .

وكانوا يقولون هذا الكلام للأوس والخزرج قبل أن يظهر النبي عليه الصلاة والسلام .. من أين لهم هذا الكلام ومن أين عرفوه ؟!

عرفوا هذا الكلام من التوراة والإنجيل وماهو مسطر وموجود في كتبهم عن هذا النبي الكريم العظيم .

فالله سبحانه وتعالى يقول : " يعرفونه كما يعرفون أبناءهم "

من أوصاف الله تعالى لهذا النبي في الانجيل يعرفونه ، بمجرد أن يراه اليهودي يعرف ان هذا حق هذا هو النبي المنتظر الذي سيظهر من خلال أوصافه في كتبهم السابقة .

فارتج اليهود في المدينة المنورة من هذا النبأ العظيم ويبدوا يتحسسون ويتسمعون الأخبار عن هذا النبي .

بدأ الإسلام ينتشر شيئاً فشيئاً من بيت إلى بيت ومن شخص إلى شخص .

النبي عليه الصلاة والسلام حينما بايع هؤلاء عند جمرة العقبة في منى بايعهم على الإسلام والإيمان والقصد من هذا تبليغ الرسالة ثم إيجاد مجتمع يعني إيجاد ركن من أركان الدولة فإذا وجد المجتمع وتكاثر وصل إلى درجة المجتمع السياسي ، فإذا وصل المجتمع إلى هذه الحالة أصبح من الممكن أن تقام فيه الدولة .

هدف النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الدعوة في بيعة العقبة هو انتشار الإسلام وتبليغة وتأسيس المجتمع كي يتحقق ركن من أركان الدولة .

الإسلام فشى في المدينة وانتشر وليس لهم الا الحديث عن هذا النبي الذي ظهر كيف شكله وماذا قال ..

أما اليهود فيموجون في المدينة المنورة ويعتصرون من الخوف والألم والوجل لأنهم أعداء النبوات وأعداء الرسالات .

من العام الذي يليه جاء مجموعة من الأوس والخزرج منهم مسلمون ومنهم غير مسلمون واجتمع بهم النبي عليه الصلاة والسلام أيضا في مكة المكرمة في ذات المكان عند جمرة العقبة في منى ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب – العباس أسلم متأخراً بعد بدر ولكن يأتي مع النبي حمية لأنه عمه - كلاهما اجتمعا مع الذين قدموا من المدينة المنورة حوالي ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان . اجتمع مع هؤلاء الذين قدموا من المدينة المنورة وعرض عليهم النبي الإسلام والإيمان وكانت هناك مفاوضات بين النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء ، يفاوضونه مفاوضات دينية ومفاوضات سياسية .

النبي سيهاجر إليهم فأخذ لهم وأخذ عليهم وطلبوا منه وطلب منهم ، واتفقوا اتفاق محكم على الإسلام وعلى الإيمان وعلى النصرة إن هو قدم إليهم .

يعني بيعة العقبة الثانية بايعوه على الإسلام والإيمان وعلى النصرة .

في بيعة العقبة الأولى لم يطلب منهم النبي أن ينصروه إن وصل إليهم ..

هكذا هي حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في التبليغ ، التدرج في التبليغ والوصول إلى الغايات والتدرج للوصول إلى الأهداف .

قالوا : يا رسول الله نحميك مما نحمي به أنفسنا وأموالنا ونسائنا وذرارينا ونسودك علينا ونفعل كل ما تطلب وكل ما تريد .

المجتمع موجود والنصرة موجودة يعني وجود مجتمع ووطن .

فإذا كان مجتمع المدينة سيسود النبي صلى الله عليه وسلم فهذا يعني إن الوطن تحقق .. مالذي بقي إذن من أركان الدولة ؟

الذي بقي هو السلطة ويمثلها النبي عليه الصلاة والسلام .

اذن شرطان أساسيان تحققا في المدينة بفضل بيعة العقبة الأولى والثانية .

وماهما الا ارهاصات ومقدمات وتوطئات لتأسيس الدولة وإيجاد أركان الدولة الإسلامية في المدينة المنورة .

عاد هؤلاء إلى المدينة المنورة وبدأ الإسلام ينتشر إنتشار النار في الهشيم ولم يبقى بيت إلا ودخله الإسلام ولم تبقى أذن إلا وسمعت بهذا النبي الذي ظهر وانتشر الإسلام في المدينة المنورة وبدأ يتنامى ويكبر يوماً بعد يوم ويهود المدينة يعتصرون ألما ويسمعون أخبار هذا النبي الكريم ويتحسسون أحواله وأخباره أما مسلمي المدينة المنورة الأوس والخزرج ومن معهم يتشوقون لرؤية هذا النبي الكريم ومتى سيأتي هذا النبي الكريم وأي خبر سيأتينا عنه وأي معلومات ستأتينا من هذا النبي الكريم ، يتشوقون تشوق المسلم لنبيه .

فتكون المجتمع المسلم في المدينة وتكون الوطن أيضا وبدأت المدينة تعج بالمسلمين وأصبح هناك مجتمع مسلم تطور حتى وصل إلى درجة المجتمع السياسي ، مجتمع سياسي كبير لم يعد المسلمون في المدينة المنورة أقلية بل أصبحوا أكثرية أما في مكة مازال المسلمون أقلية تندرج تحت أكثرية .

بعد أن أصبح هناك مجتمع مسلم في المدينة المنورة أصبح هناك كيان ومجتمع مسلم ، أراد النبي تعزيز هذا المجتمع المسلم وتقوية هذا المجتمع في مكة المكرمة فقام بالخطوة الأخرى لإيجاد أركان الدولة .

نحن قلنا ان **الخطوة الأولى** هي : الهجرة إلى الحبشة

الخطوة الثانية : ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

الخطوة الثالثة : بيعتا العقبة الأولى والثانية شددنا وقلنا بأنهما ارهاصات ومقدمات لإيجاد أركان الدولة في المدينة المنورة . النبي هو الذي أدار الحوار في بيعتي العقبة الأولى والثانية وكان حواراً دينياً وسياسياً بالإلتزام والبيعة .

النبي عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة يصارع مع قريش ما إن علمت قريش بتنامي المجتمع في المدينة المنورة حتى جن جنونها وارتبكت ارتباكاً شديداً وخافت على مكانتها وعلى سلطتها في مكة المكرمة لذلك عبرت عن هذه الربكة وعن انزعاجها بأن زادت من ضغطها على المسلمين في مكة المكرمة وزادت من أذيتها على المسلمين وعلى النبي عليه الصلاة والسلام .

حق لقريش أن تنزعج من هذا التكاثر الإسلامي في المدينة المنورة لأنها أحست أن النبي له أنصار وأصبح له مجتمع وأصبح له من يدافعون عنه وأصبح الإسلام منتشرا في المدينة المنورة .لأن هذا فعلاً يهدد من كيانها وقريش أحست النبي سيتقوى بهؤلاء وانه ربما انقض عليهم في يوم من الأيام .

ومن غباء قريش أن ضيقت على هؤلاء المسلمون كي لا يهاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة .

السياسة في مكة تقتضي ان لا يضغطوا قريش على المسلمين في مكة كيلا يهاجروا ، فالنبي أذن لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة طبعاً هذه **الخطوة الرابعة** بعد بيعة العقبة الاولى والثانية ، من الخطوات التي اتبعها النبي لتأسيس أركان الدولة .

عندما أذن النبي لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة بدأ أصحابه يهاجرون سراً ، لأن أي شخص يهاجر جهرا نهاراً تأخذه قريش وتقتله وتقطعه تقطيعاً ، مكة عملت حصار حول مكة المكرمة ولا تأذن لأحد من المسلمين ان يهاجر إلى المدينة المنورة .

لكن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بدءوا يهاجرون خفية وسراً وكل من يهاجر لا يستطيع أن يحمل معه شيئاً ، يترك اهله ويترك أبناءه ويترك أمواله وحلاله ويهاجر هكذا بنفسه لله ولرسوله ..

كل المهاجرين هاجروا خفية ليلاً ماعدا عمر بن الخطاب نزل إلى الكعبة لابساً سيفه وعدته الحربية وطاف بالبيت متمكنا وكان من عادة قريش ان تجلس بالبيت حلقات حول الكعبة المشرفة .

وبعد أن طاف بالبيت متمكنا مر على قريش حلقة حلقة وقال لهم " لايرغم الله إلا هذا المعاطيس ، من أراد أن يُثكل أمه ، أو يوتم ولده ، أو يرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي" لا يوجد أحد من صناديد قريش استطاع أن يلحق به ، هذا جانب شجاعة في سيدنا عمر .

ولنجد ان النبي هاجر سرا وعمر هاجر نهاراً .. هل هذا يعتبر شجاعة في حق عمر وعدم شجاعة في حق النبي عليه الصلاة والسلام ؟

بالطبع لا .. فالنبي أشجع من طلعت عليه الشمس .. لا عمر ولا غير عمر ولا الأمة كلها ..

لكن السياسة الشرعية تقتضي أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم سراً ..

لو قتل عمر فالإسلام سيسير وسيستمر ، لكن لو قتل النبي عليه الصلاة والسلام سينتهي الإسلام .

كثرت الهجرة وتناسلت المسلمون بالهجرة من مكة إلى المدينة المنورة وخليت مكة المكرمة تقريباً من المسلمين ولم يبقى فيها الا النزر اليسير والشيء القليل الذي لم يهاجر .

النبي عليه الصلاة والسلام لم يأذن لاثنين من الصحابة بالهجرة وهما : سيدنا علي وأبو بكر رضي الله عنهما .

وانما استبقاهما لأعمال جليلة تنتظرهما ولخصوصيات مع النبي صلى الله عليه وسلم ولأعمال يريدها النبي أن ينفذوها . فلم يأذن لهما بالهجرة لعظمتهما ولمكانتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسبقهما إلى الإسلام ..

أبو بكر اول من أسلم من الرجال وعلي أول من أسلم من الصبيان ، إذن لشانهما ولسبقهما في الإسلام استبقاهما رسول الله لآداء مهمات سيطلبها النبي منهم لاحقاً .

تحياتي وامنياتي لكم بالنجاح / غزلان الحربي